

وَقَدْ كَانَ رَهْطٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، مِنْهُمْ وَدِيْعَةُ بْنُ ثَابِتَ، أَخُو بْنِي عَمْرُو بْنُ عَوْفٍ، وَمِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَشْجَعَ حَالِيفَ لِبْنِي سَلَمَةَ يُقَالُ لَهُ: مَخْشِي بْنُ حَمِيرٍ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَتَحْسَبُونَ جَلَادَ بْنِي الْأَصْفَرَ كَفِتَالَ الْعَرَبِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ؟! وَاللَّهِ لَكُنَا إِنْ كُنَّا غَدَّا مُقَرَّبِينَ فِي الْجَبَلِ -إِنْ جَافَّا وَتَرَهِيبًا لِلْمُؤْمِنِينَ- فَقَالَ مَخْشِي بْنُ حَمِيرٍ: وَاللَّهِ لَوْدِدْتُ أَنِّي أَقْاضِي عَلَى أَنْ يُضْرِبَ كُلُّ مِنَّا مِئَةً جَلْدَةً، وَإِنَّا نَنْفَلْتُ أَنْ يَنْزَلَ فِينَا قُرْآنٌ؛ لِمَقَاوِلَكُمْ هَذِهِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِعَمَّارَ بْنِ يَاسِرٍ: أَدْرَاكِ الْقَوْمَ فَإِنَّهُمْ قَدْ احْتَرَقُوا، فَسَلَّمُهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ: بَلْ قَلْتُمْ كَذَّا وَكَذَا، فَأَنْطَلَقَ إِلَيْهِمْ عَمَّارٌ، فَقَالَ لَهُمْ ذَلِكَ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، فَقَالَ وَدِيْعَةُ بْنُ ثَابِتَ: كُنَا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ لِيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ [التوبه: 65]، فَقَالَ مَخْشِي بْنُ حَمِيرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَعَدَ بِي اسْمِي وَاسْمُ أَبِي. فَكَانَ الَّذِي عُفِيَ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَتَسَمَّى: عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُقْتَلَ شَهِيدًا لَا يُعْلَمُ بِمَكَانِهِ، فُقْتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ.

س: قوله: "قَعَدَ بِي اسْمِي وَاسْمُ أَبِي" كناية عن أيسِّ؟

ج: مَخْشِي بْنُ حَمِيرٍ يعني.

س:؟

ج: لا، وقع في هذه الكلمة التي قالها وَدِيْعَةُ بْنُ ثَابِتَ، وَنَدَمَ وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

س:؟

ج: بَابُ التَّوْبَةِ مفتوحٌ.

س:؟

ج: يتوبون بعدها، يتوبون بعد الكفر.

س: الآية تدل على أنَّ منهم من لم يتتبَّ؟

ج: إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ [التوبه: 66] يعني: ما تابوا توبَةً صادقةً.

س:؟

ج: نعم، ما في شك.

وَذَكَرَ ابْنُ عَائِدَ فِي "مَعَازِيهِ" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ نَزَلَ تَبُوكٍ فِي زَمَانٍ قَلَ مَاوْهَا فِيهِ، فَاغْتَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ غَرْفَةً بِيَدِهِ مِنْ مَاءِ، فَمَضْمَضَ بِهَا فَاهُ، ثُمَّ بَصَقَهُ فِيهَا، فَفَارَتْ عَيْنُهَا حَتَّى امْتَلَأَتْ، فَهِيَ كَذَلِكَ حَتَّى السَّاعَةِ.

فَلْتُ: في "صَحِيحِ مُسْلِمٍ" أَنَّهُ قَالَ قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَيْهَا: إِنَّكُمْ سَتَأْثُونَ عَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارَ، فَمَنْ جَاءَهَا فَلَا يَمْسَنَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتَيَ، قَالَ: فَجِنْتَاهَا، وَقَدْ سَبَقَ إِلَيْهَا رَجُلٌ، وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشَّرَابِ تَبْضُغُ شَيْئًا مِنْ مَاءِ، فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ: هَلْ مَسْتَسْتَمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا؟ قَالَا: نَعَمْ، فَسَبَبَهُمَا النَّبِيُّ، وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ غَرَفُوا مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا، حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْئِهِ، وَغَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ فِيهِ وَجْهَهُ وَيَدِيهِ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا، فَجَرَتِ الْعَيْنُ بِمَاءِ مُنْهَمِ.

الشيخ: هذا من آيات الله، ومن معجزات نبيه عليه الصلاة والسلام، مثلما جاء في بئر الحديبية لما غسل وجهه ويديه وألقى الماء فيها ثارت بالماء، ومثلما نبع من بين أصابعه عليه الصلاة والسلام، كل هذا من آيات الله التي أجرها لنبيه ﷺ، إقامةً للحجّة، وقطعًا للمعذرة، فهي من المعجزات.

س: قوله: فسبّهما؟

ج: لعصيانهما، دلّ على أنهما سمعا الخبر؛ لأنّه قال: مَنْ سبق إليه فلا يمسّه.

س:؟

ج: ظاهره السب المعرف، دعا عليهما، أو غير ذلك.

فَجَرَتِ الْعَيْنُ بِمَاءِ مُنْهَمِ حَتَّى اسْتَقَى النَّاسُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: يُوشِكُ يَا معاذ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةً أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ حَنَانًا.

الشيخ: قد وقع ذلك، إلى الآن فيها البساتين والمزارع العظيمة.

فَصْلٌ

وَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ إِلَى تَبُوكٍ أَتَاهُ صَاحِبُ أَيْلَةَ، فَصَالَحَهُ وَأَعْطَاهُ الْجِزْيَةَ، وَأَتَاهُ أَهْلُ جَرَبَا وَأَذْرُخَ فَأَعْطَاهُ الْجِزْيَةَ، وَكَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ كِتَابًا، فَهُوَ عِنْدُهُمْ، وَكَتَبَ لِصَاحِبِ أَيْلَةَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا أَمْنَةٌ مِنَ اللَّهِ وَمُحَمَّدٌ النَّبِيُّ رَسُولُ اللَّهِ لِي حَنَةَ بْنِ رُوبَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةَ، سُفْنِيمْ وَسَيَارَتِهِمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، لَهُمْ ذَمَّةُ اللَّهِ وَمُحَمَّدٌ النَّبِيُّ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْبَحْرِ، فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا فَإِنَّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ، وَإِنَّهُ لِمَنْ أَحْدَثَ مِنَ النَّاسِ، وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يَمْنَعُوا مَاءً يَرْدُونَهُ، وَلَا طَرِيقًا يَرْدُونَهُ مِنْ بَحْرٍ أَوْ بَرِّ.

فَصْلٌ

في بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة، وهو أكيدر بن عبد الملك، رجلٌ من كندة.

الشيخ: دومة هي المعروفة الآن بالجوف.

وكان نصرانياً، وكان ملكاً عليها، فقال رسول الله ﷺ لخالد: إنك ستُحدِّثُ يصيُّد البقر، فخرج خالد حتى إذا كان من صنه بمنظر العين، وفي ليلة مقمرة صافية، وهو على سطح له، ومعه أمرأته، فباتت البقر تحاكي بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله، قالت: فمن يترأك هذه؟ قال: لا أحد، فنزل فامر بقرسيه فأسرح له.

الشيخ: يعني بقر الوحش، وهي صيد.

وركب معه نفرٌ من أهل بيته، فيهم أحٌ له يُقال له: حسان، فركب وخرجوا معه بمطاردهم، فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله ﷺ فأخذته، وقتلوا أحاه، وقد كان عليه قيامٌ من ديباج مخصوص بالذهب، فاستتبه خالد، وبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه، ثم إن خالداً قدماً بأكيدر على رسول الله ﷺ، فحقن له دمه، وصالحة على الجريمة، ثم خلى سبيله فرجع إلى قريته».

وقال ابن سعيد: بعث رسول الله ﷺ خالداً في أربعين وعشرين فارساً. فذكر نحو ما تقدم، قال: وأغار خالد أكيدراً من القتل حتى يأتني به رسول الله ﷺ، على أن يفتح له دومة الجندل، ففعل، وصالحة على ألفي بعير، وثمانين رأس، وأربعين درع، وأربعين رمح، فعزل للنبي ﷺ صفيه خالصاً، ثم قسم الغنيمة فآخر الخمس، فكان للنبي ﷺ، ثم قسم ما بقي في أصحابه، فصار لكل واحد منهم خمس فرائض.

وذكر ابن عائذ في هذا الخبر أن أكيدراً قال عن البقر: والله ما رأيتكما قط أتننا إلا البارحة، ولقد كنت أضمُّ لها اليومين والثلاثة، ولكن قدر الله.

الشيخ: أضم: يُضم الخيل، يعني من تضمير الخيل للمطالبة، لمطالبتها.

قال موسى بن عقبة: واجتمع أكيدر ويحنة عند رسول الله ﷺ، فدعاهما إلى الإسلام فأبىَا.

الشيخ: يحنة صاحب أيلة، على جانب البحر.

وأقرًا بالجريمة، فقضاهما رسول الله ﷺ على قضية دومة، وعلى تبوك، وعلى أيلة، وعلى تيماء، وكتب لهم كتاباً.

رجعنا إلى قصّةٍ تبُوكَ: قال ابن إسحاق: فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُتْبُوكَ بِضْعَ عَشْرَةً لَيْلَةً لَمْ يُجَاوِرْهَا، ثُمَّ أَنْصَرَهُ قَافِلًا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ فِي الطَّرِيقِ مَاءٌ يَخْرُجُ مِنْ وَشْلٍ يَرْوِي الرَّاكِبَ وَالرَّاكِبَيْنَ وَالثَّالِثَةَ، بِوَادٍ يُقَالُ لَهُ: وَادِي الْمُشْقَقَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ سَبَقَنَا إِلَى ذَلِكَ الْمَاءِ فَلَا يَسْتَقِنَّ مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى نَأْتِيهِ، قَالَ: فَسَبَقُهُ إِلَيْهِ نَفَرَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَاسْتَقَوا، فَلَمْ يَرِ فِيهِ شَيْئًا، فَقَالَ: مَنْ سَبَقَنَا إِلَى هَذَا الْمَاءِ؟ فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَقَالَ: أَوْلَمْ أَنْهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى آتَيْهُمْ؟! ثُمَّ لَعَنَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدَعَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ نَزَلَ فَوْضَعَ يَدَهُ تَحْتَ الْوَشْلِ، فَجَعَلَ يَصْبُرُ فِي يَدِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَصْبُرَ، ثُمَّ نَصَحَّهُ بِهِ وَمَسَحَّهُ بِيَدِهِ، وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُ بِهِ، فَانْخَرَقَ مِنَ الْمَاءِ كَمَا يَقُولُ مَنْ سَمِعَهُ - مَا إِنَّ لَهُ حِسَّ الصَّوَاعِقِ، فَشَرِبَ النَّاسُ وَاسْتَقَوا حَاجَتَهُمْ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَئِنْ بَقِيتُمْ، أَوْ مَنْ يَقِيَ مِنْكُمْ لَيَسْمَعَنَّ بِهَذَا الْوَادِي وَهُوَ أَحْصَبُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَا خَلْفَهُ.

فُلُثُ: ثَبَتَ فِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ": أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُصْحِي التَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا فَلَا يَمْسَسُ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا الْحَدِيثُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

فَإِنْ كَانَتِ الْقِصَّةُ وَاحِدَةً فَالْمَحْفُوظُ حَدِيثُ مُسْلِمٍ، وَإِنْ كَانَتْ قِصَّتَيْنِ فَهُوَ مُمْكِنُ.

قال: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ الْحَارِثِ التَّيْمِيُّ: أَنَّ عَبْدَالَلَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يُحَدِّثُ، قَالَ: فَمُثُ مِنْ جَوْفِ الظَّلَلِ وَأَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَرَأَيْتُ شُعْلَةً مِنْ نَارٍ فِي نَاحِيَةِ الْعَسْكَرِ، فَاتَّبَعْتُهَا أَنْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرٌ، وَإِذَا عَبْدَالَلَّهُ ذُو الْبَجَادِينَ الْمَزْنِيَّ قَدْ مَاتَ، وَإِذَا هُمْ قَدْ حَفَرُوا لَهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حُفْرَتِهِ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرٌ يُدْلِيلُهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: أَدْنِيَا إِلَيَّ أَخَاكمَا، فَدَلَّيَا إِلَيْهِ، فَلَمَّا هَيَّأَهُ لِشِفَاهِهِ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ أَمْسَيْتُ رَاضِيًّا عَنْهُ، فَأَرْضَنَ عَنْهُ، قَالَ: يَقُولُ عَبْدُالَلَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ صَاحِبَ الْحُفْرَةِ.

الشيخ: عَلَّقَ عَلَيْهِ؟

الطالب: ابن هشام، عن ابن إسحاق، ورجاله ثقات، إلا أنَّ محمد بن إبراهيم لم يسمع من ابن مسعود، ونسبة الحافظ في "الإصابة" إلى البغوي، وأعلَّه بالانقطاع، وقال: أخرجه ابن منه من طريق سعيد بن الصَّلت، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود. وَمِنْ طرِيقِ كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني، عن أبيه، عن جده، نحوه.

الشيخ: كلا السَّنَدين ضعيف؛ لأنَّ من طرِيقِ محمد بن إبراهيم، عن ابن مسعودٍ منقطعٌ؛ محمد ما أدركه، وكثير بن عبد الله بن عمرو هذا ضعيف أيضًا.

قال ابن هشام: إنما سُميَّ ذا الْبَجَادِينَ؛ لأنَّه كان يُنَازِعُ إِلَى الْإِسْلَامِ فِيمَنْعَهُ قومُهُ مِنْ ذَلِكَ، وَيُضَيِّقُونَ عَلَيْهِ، حَتَّى تَرَكُوهُ فِي بَجَادٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرَهُ، وَالْبَجَادُ: الْكَسَاءُ الْغَلِيظُ الْجَافِيُّ، فَهُرِبَ مِنْهُمْ إِلَى رَسُولِ

الله ﷺ، فلما كان قريباً منه شقَّ بجاده باثنين، فاتَّر بواحدٍ، واشتمل بالآخر، ثم أتى رسول الله ﷺ
فقيل له: ذو الجادين بذلك.

.....

س: تأخير دفن الميت؟

ج: إذا دعت المصلحة لا بأس، أقول: إذا أخْر لصالحة لا بأس.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ مَرْجِعُهُ مِنْ غَرْوَةِ تَبُوكَ :إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَأَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًّا إِلَّا
كَانُوا مَعَكُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ.

الشيخ: وهذا من فضل الله جل وعلا: أن الإنسان الذي له النية الصالحة، ويحبسه العذر، له أجر العاملين، فالذي يمنعه من صلاة الجمعة العذر له أجر الجمعة، والذي يمنعه من الحج العذر له أجر الحج، والذي يمنعه من الجهاد العذر له أجر الجهاد.

وهكذا قال للصحابة لما أتوا تبوك: إنَّ بِالْمَدِينَةِ لَأَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًّا إِلَّا وَهُمْ
مَعَكُمْ، وفي اللُّفْظِ الْآخَرِ: إِلَّا شرَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ، قالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ فِي الْمَدِينَةِ؟ قَالَ: وَهُمْ
فِي الْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ يَعْنِي: الْمَرْضُ أَوِ الْعَجْزُ وَدُمُّ النَّفَقَةِ. وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ يَقُولُ ﷺ: إِذَا
مَرْضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ وَهُوَ صَحِيحٌ مُقِيمٌ.







